المبحث الثاني

عمر بن الخطاب والمجتمع

- **حق الفقير كحق الغني**
- **العدل والمساواة**
- **اهتمامه بشئون الرعية**
- **عمر بن الخطاب والنساء**
- **عمر بن الخطاب والقيم الاجتماعية والاخلاقية**

obeikandl.com

العدالة الاجتماعية من أهم الأشياء التي كان يؤمن بها عمر بن الخطاب ، ليستقيم له الأمر ، ولينزع بذلك فتيل الحقد والحسد من قلوب العامة على الخاصة ، عندما يجدون أنهم متساوون معهم في الحقوق والواجبات ، فإن المجتمع الذي يجد فيه الأغنياء فيه كل شيء ميسرا وسهل المنال ، بينما يجد الفقير فيه كثيرا من المعاناة ، فليس هذا بمجتمع صالح وليس هو بالمجتمع الذي يرضي الله ورسوله .

أ- حق الفقير كحق الغني عند ولي الأمر

عمر بن الخطاب كان يرى أن للفقير حق على الغني وعلى ولي الأمر ، وقد كان يؤمن بذلك ويسعى إليه سعيا حثيثا ، فيحاول أن يعطي للفقير حقه كاملا دون نقصان ، ليستطيع أن يواجه به سطوة الأغنياء وقوتهم المتمثلة في ثرواتهم ، فعندما يحصل الفقير على كافة حقوقه ، فهو يحصل بذلك على بعض المزايا التي تجعله في شيء من التوازن بينه وبين الأغنياء ، حتى ولو لم يصل إليهم في المستوى، إلا أن هذه الإشياء واهتمام عمر بها ، خلقت لونا من ألوان التوازن الاجتماعي العادل .

وقد تمثلت سياسة عمر بن الخطاب في ذلك الأمر عندما أوصى وليه هنيء الذي كان مسئولا عن المراعي ، التي يرعى فيها إبل الصدقة ، فأوصاه بالفقراء قبل الأغنياء ، وأن يسمح لإبل الفقراء وغنمهم بالرعي قبل إبل وغنم الأغنياء فقال له : يا هنيء : ضم جناحك عن الناس ، أي لا تمد يدك إلى أخذ شيء منهم كرشوة يرشونك بها ، واتق دعوة المظلوم فإنها مجابة ، وأدخل رب الصريمة ورب الغنيمة ، أي صاحب القطيع الصغير من الإبل ، وصاحب العدد القليل من الغنم ثم يحذره من غنم وإبل الأغنياء أمثال ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، الذين يملكون الكثير منها ، فقال : وإياك ونعم ابن عفان فإنهما إن تهلك ماشيتها ، أي من قلة الرعي – يرجعان إلى زرع ونخل ، أي يرجعان إلى أنواع أخرى من المال يملكونها ، من زرع ونخيل ، – وإن رب الصريمة والغنيمة إن تهلك ماشيته أي لقلة الرعي – يأتي ببنيه فيقول : يا أمير المؤمنين ، أفتاركه أنا لا أبا لك ؟ فالماء والمأكل أيسر من الذهب والفضة ، أي فالماء والمأكل اللذان نمنحهما لرب الإبل والغنم

القليلة ، حين ترعى إبله في هذه المراعي ، أيسر من الذهب والفضة اللذين نضطر إلى انفاقهما عليه وعلي عياله ، إذا هلكت ماشيته جوعا وظمأ [1].

فأين نحن اليوم من هذا الأمر ، فالأغنياء اليوم يستأثرون بالسلطة والجاه والمال ، دون الفقراء الذين لا يجدون ما يقتاتون به ، أراضي الدولة نراها تغتصب وتوزع بأبخس الأثمان على الأغنياء ويحرم منها الفقراء الذين هم أولى بها منهم ، فهم في حاجة إلى قطعة أرض يزرعها أو يبني عليها بيتا يواريه من البرد شتاء ومن الحر صيفا ، وإذا بهذه الأراضي توزع على الأغنياء ليس لبناء مساكن للفقراء ليسكنوا فيها ، ولا هم استصلحوها ليأكل منها الغني والفقير ، بل بنو عليها المنتجعات الخاصة بهم لقضاء أوقات فراغهم في شاليهات وقصور هم في غنا عنها ، فيزداد الحقد في المجتمع تجاه الأغنياء وتضيع العدالة الاجتماعية ، ويشعر الانسان بالغبن والحقد تجاه وطنه الذي حرمه من أدنى حق له ، وهو حق العيش في حياة كريمة.

---

(1) الذهبي : المصدر السابق ، ج3 ، ص 272. محمد محمد المدني : نظرات في فقه عمر بن الخطاب ، القاهرة ، 2002م ، ص 167.

obeikandl.com

ب- العدالة والمساواة

كان عمر بن الخطاب يؤمن بوجوب العدالة بين الناس ، والمساواة فيما بينهم ورفع مستوى رعيته ، وذلك لا يتحقق إلا بمبدأ تكافؤ الفرص بين الناس ، وقد كان عمر يؤمن بذلك ، يؤمن بأن الحاكم إنما هو خادم عند شعبه ، اختاروه ليسير فيهم بالعدل والمساواة ، وينفذ فيهم أمر الله ، والحق الذي ارتضاه المولى عز وجل ، خاضعا في ذلك لرقابتهم ممتثلا لأرادتهم ، وإذا حدث وحاد عن الطريق خلعوه ، وولوا مكانه من يسير فيهم بالعدل والحق.

وصفة العدل صفة اتسم بها عمر بن الخطاب ، حتى أنه سمي بالفاروق ، لأنه فرق بين الحق والباطل ، وقد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ، " لقد كان عمر لا يخاف في الله لومة لائم ، ويقيم شرع الله على الكبير والصغير ، الغني والفقير ، البعيد والقريب ، الحبيب والغريب .

والروايات والصور على عدالته كثيرة تعج بها كتب التاريخ والمناقب ، منها ما روي عن إبراهيم بن حمزة ، قال : أتي عمر بن الخطاب ببرود فقسمها بين المهاجرين والأنصار ، وكان فيها برد فاضل ، فقال : إن أعطيته أحدا منهم غضب أصحابه ورأوا إن فضلته عليهم ، فدلوني

على فتا من قريش نشأ نشأة حسنة أعطيه إياها ، فسموا له المسور بن مخرمة ، فأعطاه إياها ، فنظر إليه سعد بن أبي وقاص على المسور فقال : ما هذا ؟ قال : كسانيه أمير المؤمنين . فجاء سعد إلى عمر فقال : تكسوني هذا البرد وتكسوا ابن أخي مسورا أفضل منه ، قال : يا أبا إسحاق : كرهت أن أعطيه أحدا منكم فيغضب أصحابه ، فأعطيته فتا نشأ نشأة حسنة ، لا يتوهم فيه أني أفضله عليكم ، فقال سعد : فإني قد

حلفت لأضربن بالبرد الذي أعطيته رأسك فخضع وقال : عندك يا أبا إسحاق وليرفق الشيخ بالشيخ فضرب رأسه بالبرد [1].

ويتضح من هذه الروايه أن عمر لاحظ أن عنده برد جميل ، فخاف إن هو أعطاه لأحد من قريش ، أن يحنق عليه الباقين ويظن أنه فضله عليهم ، فرأى بثاقب نظره أن يعطيه لشاب صالح ، تشجيعا منه للشباب الجيد الملتزم السائر على طريق الحق ، فغضب منه سعد بن أبي وقاص وهو رجل من المبشرين بالجنة ، وله من الفضل العظيم في الإسلام ، إلا أن عمر حاول أن يرثي مبادئ العدالة في المجتمع ، ولا يفاضل بين فئاته وأطيافه ، شيوخا كانوا أم شبابا، نساء كانوا أم رجالا ، أحرارا كانوا أم عبيدا ، حتى يستوي له الأمر .

وعندما قسم عمر العطاء بين المسلمين راعى في ذلك سابقة الإسلام ، وأفضلية بعض الصحابة على بعض فخطب يوم الجابية ، فقال للناس : إن الله جعلني خازنا لهذا المال ، وقاسما له ثم قال : بل الله يقسمه وأنا بادئ بأهل النبي صلى الله عليه وسلم ، ففرض لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، عشرة آلاف لوجويرية وصفية وميمونة ، فقالت عائشة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يعدل بيننا فعدل بينهن عمر ، ثم قال : إني بادئ بأصحابي المهاجرين الأولين ، فإنا أخرجنا من ديارنا ظلما وعدوانا ، ثم أشـــــركهم ففرض

(1) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ص 147 .

لأصحاب بدر منهم خمسة آلاف خمسة آلاف ، ولمن شهد بدرا من الأنصار أربعة آلاف أربعة آلاف ، وفرض لمن شهد الحديبية ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، وقال : من أسرع في الهجرة أسرع بالعطاء ، ومن أبطأ في الهجرة أبطأ به العطاء، فلا يلومن رجل إلا مناخ راحلته . [1]

هكذا كانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس ، ولقد نجح في ذلك نجاحا منقطع النظير ، لاقي به إعجاب جميع الصحابة ، وغيرهم من غير المسلمين ، فقد حكم بالعدل ذات مرة لصالح رجل يهودي ، وأنصفه على مسلم ولم يحمله كفر اليهودي ومخالفته لعقيدته ، إلى ظلمه والحيف عليه ، وذلك في ما رواه الإمام مالك من طريق سعيد بن المسيب ، أن عمر بن الخطاب اختصم إليه مسلم ويهودي فرأي عمر أن الحق لليهودي فقضى له ، فقال له اليهودي والله لقد قضيت بالحق [2] .

وهذا الفعل من شأنه أن يحقق العدالة الإجتماعية بين كل أطياف المجتمع سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ، وهذا ما يجعل الذي يعيش في بلاد الإسلام لايخاف الظلم ولا يخاف من ضياع حقه في أن يعيش حياة كريمة .

بل كان عمر بن الخطاب دائما ما يتفقد أحوال المسلمين ، ويسألهم عن سيرة عماله معهم هل يسيرون فيهم بالعدل أم لا ، فتلك قضية كانت تؤرقه دائما ، فقد كان

---

(1) ابن الجوزي : السابق ، ص 148 .

(2) موطأ مالك : كتاب الأقضية باب الترغيب في القضاء بالحق رقم 2 .

يقول للناس : إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيئكم ، فمن فُعِلَ به غير ذلك فليقم ، فما قام أحد إلا رجل واحد قام فقال : يا أمير المؤمنين إن عاملك ضربني مائة سوط ، قال : فيم ضربته ؟ قم فاقتص منه ، فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك ، ويكون سنة يأخذ بها من بعدك ، فقال : أنا لا أقيد وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقاد من نفسه ، قال : فدعنا فلنرضه ، قال : دونكم فأرضوه فافتدى منه بمائتي دينار كل سوط بدينارين ، ولو لم يرضوه لأقاده رضي الله تعالى عنه . [1]

وجاء رجل من أهل مصر يشكو أليه صنيع ابن عمرو بن العاص والي مصر معه ، قائلا يا أمير المؤمنين : عائذ بك من الظلم ، قال : عذت معاذا ، قال : سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته فجعل يضربني بالسوط ويقول : أنا ابن الأكرمين ، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص يأمره بالقدوم عليه هو وابنه ، فقدم عمرو ومعه ابنه : فقال عمر : أين المصري ؟ خذ السوط فاضرب ابن الأكرمين ، فجعل يضربه بالسوط وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين ، قال أنس : فضرب ، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه ، فما رفع عنه حتى تمنينا أن يرفع عنه ، ثم قال عمر للمصري : اصنع على صلعة عمرو ، فقال : يا أمير المؤمنين إنما إبنه الذي ضربني وقد

(1) ابن سعد : الطبقات الكبري ، بيروت ، دار صادر ، ص 293 –294.

obeikandl.com

اشتفيت منه ، فقال عمر لعمرو كيف تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ، قال يا أمير المؤمنين: لم أعلم ولم يأتني .[1]

فهذه هي العدالة الاجتماعية بكامل صورها تتجلي في بلاط عمر بن الخطاب ، ليعلم الناس أنه لا يجوز أن يستخدم المرء سلطته ونفوذه في دهس الناس وذلهم ، وقد خلقتهم أمهاتهم أحرارا ، فالسلطة والنفوذ لا تدوم لأحد ، فماذا عن هذا العصر الذي نعيش فيه اليوم ،أما عن هذا العصر الذي نعيش فيه فحدث ولا حرج عن انتهاك حقوق الإنسان وإهدار كرامته، إن الظلم والاستعباد التي عاشتها الأمة الإسلامية في الآونة الأخيرة ، وتسلط الحكام ومن والاهم من حاشيتهم، وكبار رجال الدولة على الشعوب الفقيرة المطحونة، هو الذي دفع الناس إلى الثورة على هؤلاء الفاسدين ، والإطاحة بهؤلاء الظالمين الذين مارسوا شتى أنواع الظلم والفساد ، فكانت مزبلة التاريخ في انتظارهم .

فرحم الله ابن تيمية حين قال : إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا ينصر الدولة الطاغية ولو كانت مسلمة ، بالعدل تستصلح الرجال وتستغزر الأموال .[2] وكأن ابن تيمية يعيش معنا ويرى حالنا ، فالمسلمين مع ما يملكون من قوة في أراضيهم وقوة في عقيدتهم ، إلا أنهم غثاء كغثاء السيل لا قيمة له ، وذلك يعود إلى انتشار الظلم والطغيان في

---

(1) ابن القيم ، المصدر السابق ، ص 97.

(2) إسماعيل بدوي : السياسة الشرعية ، الكويت ، مكتبة المنار ،2000م ، ص 10.

بلادهم ، فلو أقام حكام المسلمين العدل في بلادهم ، مع ما يملكون من عقيدة قوية ، وشريعة واضحة نقية ، وثروات هائلة لسادوا العالم أجمع ، إن إرساء مبدأ العدل في الحكم عهد عمر بن الخطاب والقاعدة التي بني عليها عمر حكمه ، وهي إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، هي التي جعلت الأمور تستقيم له ، ودانت له العرب والعجم ، لأن وجه المفاضلة في عهده لم يكن بالجاه والنفوذ والسلطان ، بل معيار المفاضلة عنده بالدين والتقوى والسابقة إلى الإسلام والخير .

لقد كان عمر دائم الفكر في رعيته ، وما يصلح أحوالهم ، باحثا دائما عن المبادئ التي تحقق العدالة بينهم ، فهو الذي قال عام الرمادة: ذلك العام الذي عصر الناس من الجوع والمرض، "كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني ما مسهم " [1] ، وعندما عم الغلاء أرض المسلمين ، فوصل ثمن السمن إلى شكل جنوني ، فكان عمر يأكل الزيت فتقرقر بطنه، فيقول لها : قرقري ما شئت فوالله لا تأكلي السمن حتى يأكله الناس .[2]

لقد حاول عمر بن الخطاب بسياسته الحصيفة أن يذيب الفوارق بين فئات المجتمع ، فالخادم في نظره ليس خادما لسيده إنما خادما لنفسه يخدم قوته ، فلذلك كانت نظرته لهؤلاء نظرة كلها عدل ومساواة ، فقد روي أنه ذهب إلى الحج ، فصنع له صفوان بن أمية طعاما ، وكان من علية القوم في مكة ، فجاء بجفنة يحملها أربعة من الخدم ، فوضعت بين يدي القوم يأكلون وقام الخدام ، فقال عمر : أترغبون عنهم ؟ فقال سفيان بن عبد الله : لا والله يا أمير المؤمنين ولكنا نستأثر عليهم ، فغضب عمر غضبا شديدا ، ثم قال : ما لقوم

---

(1) الطبري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 98.

(2) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ص 95.

obeikandi.com

يستأثرون على خدامهم فعل الله بهم وفعل ، ثم قال للخدام اجلسوا فكلوا فقعد الخدام يأكلون ولم يأكل عمر [1] .

وذبح يوما جازورا فأطعمها الناس وغرفوا له من طيبها فأتي به ، فإذا قديد من سنام ومن كبد ، فقال : أنى هذا ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين من الجذور التي نحروها اليوم ، فقال بخ بخ، بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كرادسها ، إرفع هذه الجفنة ، هات غير هذا الطعام ، فأتي بخبز وزيت ، فجعل يكسر بيده ويترد ذلك الخبز [2].

بل كان عمر بن الخطاب يُعلم ولاته على الأقاليم ذلك الخلق وأن لا يستأثروا بشيء دون الناس ، فروي أن عتبة بن فرقد أتى من أذربيجان فأتى بالخبيص وهو نوع جيد من الطعام ، فصنع من هذا الطعام شيء لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فذاقه عمر فوجده حلوا ، فقال عمر : أكل المسلمين يشبع من هذا في رحله ؟ قال : لا ، قال : أما لا فارددها ، ثم كتب إليه ، أما بعد فإنه ليس من كد أبيك ولا من كد أمك ، أشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك [3].

ومن صور العدالة في عهده ، أنه كان لا يفضل أحدا على أحد مهما كانت منزلته ومكانته، فقد جيء يوم بغنائم وأخذ عمر يوزعها بين الناس ، فجاء سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس ، حتى أفضى إلى عمر يريد أن يأخذ نصيبه قبل الناس ، ظنا

---

(1) ابن الجوزي : السابق ، ص 101.

(2) نفس المصدر : ص 188.

(3) نفس المصدر : ص 147.

منه أن عمر سيعطيه قبلهم لمكانته، إلا أن عمر كان له رأي غير هذا ، فما كان منه إلا ورفع ضرته فضربه بها قائلا : أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض ، فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لا يهابك . [1]

وفعل ذلك الأمر مع جبلة بن الأيهم آخر أمراء الغساسنة بالشام ، الذي دخل الإسلام بعد انتشار الفتوحات الإسلام ، فكتب إلى عمر يستأذنه بالقدوم عليه ليعلن إسلامه ، ففرح عمر بذلك فجاء إلى المدينة وأسلم ، فأسكنه عمر بها فترة وأخذ في رعايته ثم استأذنه جبلة في الخروج للحج ، فلما ذهب للحج وأخذ في الطواف حول الكعبة ، وطئ إزاره رجل من بني فزارة فحله ، فغضب جبلة ولطم الرجل فكسر أنفه ، فأسرع الرجل يشتكيه لعمر ، فأرسل عمر في طلبه ، فسأله عن ذلك فأقر به ، فقال له عمر: ما حملك على فعل ذلك ؟ فأجاب بأنه قد ترفق كثيرا بهذا البدوي ، وأنه لولا حرمة البيت لقتله ، فقال له عمر : لقد أقررت فإما أن ترضي الرجل وإما أن أقتص له منك ، فاندهش جبلة لحكم عمر بن الخطاب، فقال جبلة : لقد ظننت أن أكون في الإسلام أعز منه في الجاهلية ، فقال له عمر : دعك من هذا إما أن ترضي الرجل أو أقتص له منك ، فقال جبلة : إذًا اتنصر فقال عمر : إذا تنصرت قتلتك ، فطلب من الفاروق المهلة ليفكر في الأمر ، فأذن له عمر بالإنصراف ، ففر

(1) الطبري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 212.

هاربا بالليل وتنصر ولحق بملك الروم .[1]

ومن صور عدله أيضا أنه كان دائما بالمرصاد لأغنياء المسلمين حتى لا يستخدموا سلطتهم ونفوذهم ضد فقراء المسلمين ، فروي أن أهل مكة أقبلوا عليه يشكوون إليه أبو سفيان قائلين : يا أمير المؤمنين إن أبو سفيان حبس مسيل الماء علينا ، ليهدم منازلنا فأقبل عمر ومعه الدرة، فإذا أبو سفيان قد نصب أحجارا فقال له عمر : إرفع هذا فرفعه وهذا وهذا ، حتى رفع أحجارا كثيرة [2] .

فما بالنا اليوم بمن يستخدمون نفوذهم في ضياع حقوق الناس ، والجور والظلم عليهم حتى أضحى المجتمع يبغض بعضه بعضا ، ويسب بعضه بعضا ، يتمنى الفقير زوال النعمة من الغني ، لأنه اكتسب ماله من الحرام ومن دماء الناس ، ومن الظلم والسرقة ، ويتمنى الغني أن يتخلص من هؤلاء الفقراء وكأنهم آفة تهدد حياته ومستقبله ، يريد أن يعيش هو وحده ويموت من يموت ، فكم من مساكن للفقراء أزيلت وشرد أهلها لصالح الأغنياء ، ليبنى فوقها فنادق ومنتجعات ، فهؤلاء لا يهمهم أن يحيا الفقير أم لا ، لا يهمهم أيجـــد ما يواري به جسده من ملبس أم لا ، لا يهم أيجد مكانا يحتمي فيه من برد الشتاء القارص أم لا ، المهم أن يمكِّن لنفسه ، فيحيا حياة رغدة ، ويمت من يمت ويتشرد من يتشرد ، هذا كان وما زال دأب المسئولين في بلادنا.

---

(1) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج1 ، ص 1503.

(2) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ص 96.

فكان هذا دأب عمر مع أغنياء المسلمين ، كان دائما وأبدا ما يولي للفقراء إهتماما بالغا عن الأغنياء ،حتى أنهم كانوا يحنقون عليهم في ذلك ، فروي أن سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب ونفر من علية القوم من قريش ،وقفوا على باب عمر بن الخطاب ، وكان يقف معهم أناس من الصحابة من فقراء المسلمين ، منهم بلال بن رباح وصهيب وبعض الموالي والعبيد ، فخرج ابن عمر فأذن لهؤلاء الفقراء ولم يأذن للفريق الأول ، فقال أبو سفيان :لم أر مثل هذا اليوم قط ، يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه ، ولا يلتفت إلينا ، فقال سهيل بن عمرو : وكان رجلا عاقلا ، أيها القوم إني والله أرى الذي في وجوهكم ، إن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم ، دعي القوم ودعيتم ، فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم [1].

إلا أننا نرى اليوم أهل الفضل وأهل الدين وأهل الصلاح ، أماكنهم في المعتقلات والسجون ، ورعاع القوم وفسدتهم هم الذين يكرمون في شتى المحافل ، ويتمتعون بكل ملذات الحياة ، وَحُرِمَ الشرفاء وذوي الفضل والفقراء من حقهم في أن يعيشوا عيشة كريمة ، فكيف ينصلح حال المسلمين والأمر على هذا الحال .

لقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرى نفسه دائما أقل الناس شئنا ، وأقل الناس عطاء ، فكانت سعادته في سعادة رعيته ، وحزنه من حزنهم ، وطالما أن الناس يبيتون هانئون ، يطيب له العيش أيضا مع ما قد يصيبه من عسر في المعيشة وشقاء ، روي عن الأحنف بن قيس أنه قال : كنا جلوسا على باب عمر ، فمرت جارية ،

(1) ابن الجوزي : السابق ، ص 96.

فقالوا : سرية أمير المؤمنين ، فقالت : ما هي لأمير المؤمنين بسرية وما تحل له إنها من مال الله ، فقلنا : فماذا يحل له من مال الله ، فما هو إلا قدر أن بلغت فجاء رسول عمر فدعانا فأتيناه ، فقال : ماذا قلتم ؟ فقلنا : لم نقل بأسا ، مرت جارية فقلنا هذه سرية أمير المؤمنين فقالت : ما هي لأمير المؤمنين بسرية ، وما تحل له إنها من مال الله ، فقال عمر : أنا أخبركم بما استحل منه ، حُلتان : حُلة في الشتـــاء وأخـرى في الصيف ، وما أحج عليه وأعتمر من الظهر ، وقوت أهلي كقوت رجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ، ثم أنا بعد رجل من المسلمين يصيبني ما أصابهم .[1]

وهنا تتجلى عدالة عمر بن الخطاب ، فقد قطع على نفسه عهدا أن يكون كأي فرد في المجتمع لا يزيد ولا ينقص عنهم في شيء ، ولا يتميز عنهم بشيء ، وهذا ضرب عظيم من عدل الحاكم، عندما ترى رعيته أنه يعيش عيشتهم ، ويأكل من طعامهم ، ويلبس أدني من ملبسهم ، فهو القائل رضي الله عنه : إني أنزلت نفسي من هذا المال منزلة اليتيم ، إن استغنيت استعففت ، وإن احتجت استقرضت فإذا أيسرت قضيت .[2] ، وهو القائل أيضا إن مثلي ومثل هؤلاء ، إلا كقوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل معهم ، فقالوا : أنفق علينا ، فهل يحل له أن يستأثر منها بشيء ؟ قالوا : لا يا أمير المؤمنين ، قال : فكذلك مثلي ومثلهم .[3]

وكان رضي الله عنه إذا احتاج أتى صاحب بيت المال فاستقرضه ، فربما أعسر في سداد الدين ، فيأتيه صاحب بيت المال يطالبه بالقرض ، فيلزمه فيحتال له عمر ،

---

(1) ابن الجوزي : السابق ، ص99.

(2) المصدر السابق : ص 101.

(3) نفس المصدر : ص 100.

وربما خرج عطائه فقضاه . [1] إلا أننا نرى حكام المسلمين اليوم يسرقون شعوبهم جهارا ، ويتركون رعاياهم يتخطفهم الفقر والجوع والجهل ، فما بال هؤلاء ألا يقرءون التاريخ ، ألا يلتفتون إلى تلك القامات التي يذخر بها التاريخ الإسلامي ، ألا يتعلمون من عمر زهده وعدله ، ألا نسوا ما ينتظرهم من سوء العاقبة يوم القيامة على أفعالهم المنافية للشرع، لكنهم نسوا الله فنسيهم.

لقد كان عمر يسعى سعيا حثيثا إلى تخفيف الأعباء عن كاهل الناس ، فقد كان يسعى لوضع خطة لأن يصل عطاء المرء حيث يقيم ، حتى لا يكلفه عناء السفر من أجل الحصول على عطاؤه .

فروي أنه قام في الناس خطيبا ذات يوم فقال : والله الذي لا إله إلا هو ثلاثا ، ما من أحد إلا له في هذا المال حق أعطيه أو منعه ، وما أحد أحق به من أحد إلا عبد مملوك ، وما أنا فيه إلا كأحدهم ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله ، وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرجل وبلاؤه في الإسلام ، والرجل وقدمه في الإسلام ، والرجل وعناؤه في الإسلام ، والرجل وحاجته ، والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه . [2]

ومما كان يتطلع إليه أيضا أنه كان يريد أن يخفف على الفقراء فقرهم إلى أبعد حد ، فقال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ، لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين [3] ، وظهر ذلك جليا في المنهج الذي وضعه لنفسه في حكم البلاد ، وهو مبدأ العدالة الإجتماعية والمساواة بين كافة أطياف المجتمع على اختلاف

---

(1) الطبري : المصدر السابق ، ج4، ص 208.

(2) الطبري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 211.

(3) نفس المصدر ، ج4 ، ص 226.

تاركهن لشيء أبدا ، وكأنه يريد أن يقول لهم فليهدأ بالكم فإني سأسير فيكم سيرة حسنة لن أحيد عنها ما حييت ، فقال

رضي الله عنه : القوة في مال الله وجمعه ، حتى إذا جمعناه وضعناه حيث أمر الله ، وقعدنا آل عمر ليس في أيدينا ولا عندنا منه شيء ، والمهاجرون الذين تحت ظلال السيوف ألا يحبسوا ولا يجمهروا ، وأن يوفر فيئ الله عليهم وعلى عيالهم ، وأكون أنا للعيال حتى يقدموا .

ومما لا شك فيه أن رعاية الدولة للمحارب والمجاهد هو وأهل بيته يجعله يخرج في سبيل الله وهو مطمئن على أهل بيته ، أنه يوجد من يهتم لشئونهم ، أما نحن الآن فحدث ولا حرج عن ضياع حقوق الشهداء والمصابين في الحروب ، التي خاضتها مصر إبان الستينات والسبعينات ، وكيف أنهم لم ينالوا تقديرا من قبل الدولة بقدر ما يناله لاعبين الكرة والفنانيين والفنانات ، إن القلوب لتنفطر كمدا مما نسمعه عن أحوال الأسرى والمصابين الذين شاركوا في الحروب ، وكيف أنهم ضحوا بأرواحهم من أجل الوطن ، إلا أن الدولة والسلطة الحاكمة بمصر تنكرت لهم ، ولم يراعوا حقهم فقد سمعنا عن المصريين الذين أسروا في حرب 1967م وبقوا في سجون الأعداء حتى أوائل الثمانينات ، وهم يقصون على مسامعنا ما لقوه من عنت خلال هذه السنوات من القمع والتعذيب في سجون العدو الصهيوني ، وبعد أن أفرج عنهم كان لزاما على الدولة أن تكرمهم ، نظير سنوات العذاب التي ضاعت من عمرهم ، إلا ان الدولة تنكرت لهم ولما قدموه من أجل الوطن ، إنني لا أجد تعليقا على هذا المشهد المخزي، مشهد لا تجده إلا في عصور الظلم والاستبداد في نفس الوقت الذي يكرم فيه من لايستحق التكريم ، فهل يستوي الخبيث والطيب، أم هل يستوي الظلمات والنور ، هل يستوي من يصدر للمجتمع الإنحلال مع من ضحى بعمره وحياته في سبيل الوطن .

نعود إلى حديث عمر فيكمل قائلا : والأنصار الذين أعطوا الله عز وجل نصيبا، وقاتلوا الناس كافة أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، وأن يُتشاوروا في الأمر،والأعراب الذين هم أصل العرب ومادة الإسلام، أن تؤخذ من صدقاتهم على وجهها ، ولا يؤخذ منهم دينارا ولا درهما ، وأن يرد علي فقرائهم ومساكنهم [1].

ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس فرض لأسامةبن زيدخمسة آلاف . وفرض لابنه عبد الله بن عمر ألفين فقال ابن عمر:فضلت علي أسامة وقد شهدت ما لم يشهد، فقال إن أسامة كان أحب إلى رسول الله منك ،وأبوه كان أحب إلى رسول الله من أبيك .

وروي عن الربيع بن زياد الحارثي أنه وفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأعجبته هيئته ونحوه، فقال: يا أمير المؤمنين إن أحق الناس بطعام لين، ومركب لين، وملبس لين لأنت –وكان أكل طعاما غليظا فرفع عمر جريدة كانت معه فضرب بها رأسه، ثم قال: أما والله ما أراك أردت بها الله، ما أردت بها إلا مقاربتي، وإن كنت لأحسب أن فيك خيرا، ويحك هل تدري مثلي ومثل هؤلاء؟ قال: وما مثلك ومثلهم، قال مثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم، فقالوا: أنفق علينا، فهل يحل له أن يستأثر منها بشيء؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، قال فذلك مثلي ومثلهم[2].

ولكي ينبع قرار عمر رضي الله عنه على أساس عادل، رغب أن يعرف الحالة التي كان عليها أهل البلاد المفتوحة قبل الفتح، وطلب من الصحابيين عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان وكانا على العراق ، أن يرسلا إليه وفدا من كبار رجال السواد، فبعثا إليه وفدا من دهاقنة السواد، فسألهم عمر رضي الله عنه، كم كنتم تؤدون إلى الأعاجم في أرضهم؟

(1) المصدر السابق ، ج4 ، ص 227.

(2) اسد الغابة ، ج1 ، ص 4

قالوا: سبعة وعشرين درهما، فقال عمر رضي الله عنه لا أرضى بهذا منكم[1]، وهذا يدل على أن الفتح الإسلامي كان عدلا على الناس الذين فتحت بلادهم، وكان عمر يرى أن فرض خراج على مساحة الأرض أصلح لأهل الخراج، وأحسن ردا، وزيادة في الفيء من غير أن يحملهم مالا يطيقون ، فقام عثمان ابن حنيف وحذيفة بن اليمان بما وكل إليهما خير قيام ، فبلغت مساحة السواد (36000.000) ستة وثلاثين ألف ألف[2]، ووضعا على جريب العنب عشرة دراهم، وعلى جريب النخل ثمانية دراهم، وعلى جريب القصب ستة دراهم، وعلى جريب الحنطة أربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمين[3]، وكتبا إلى عمر بن الخطاب بذلك فأمضاه وقد حرص عمر (رضي الله عنه) على العناية بأهل تلك الأرض والبلاد، وما يوفر العدل ويحققه خوفا أن يكون عثمان وحذيفة رضي الله عنهما حملا الناس والأرض ما لا يطيقون أداءه من خراج فسألهما: كيف وضعتما على الأرض لعلكما كلفتما أهل عملكما ما لا يطيقون؟ فقال حذيفة :

لقد تركت فضلا، وقال عثمان: لقد تركت الضعف، ولو شئت لأخذته فقال عمر رضي الله عنه عند ذلك: أما والله لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعنهم لا يفتقرون إلى أمير بعدي[4].

على أية حال لواستطاع كل حاكم أن يضع لنفسه في بداية حكمه مبدأ لتحقيق العدالة واستطاع قدر المستطاع أن يطبقه وأن يسير على منواله ، لتغير حال الناس وساروا في عزة ومنعة كسابق عهدهم.

---

(1) الخراج لأبي يوسف ص40، 41.

(2) الخراج لأبي يوسف ص38.

(3) الخراج لأبي يوسف 39.

(4) الخراج لأبي يوسف ص40.

*** اهتمامه بشئون الرعية**

كان عمر يهتم بشئون رعاياه اهتماما بالغا ، فقد كرس حياته ونفسه لرعاية مصالح الناس ولاسيما الفقراء منهم ، وقد كان يعلم أن كثير من مشاكل الناس قد لا ترفع إليه لحلها لهم بسبب أو بآخر ، لذا كان رضي الله عنه يتمنى أن لو يمد الله في عمره ويذهب إلى كل بلد من البلاد التي يحكمها ، فيمكث فيها مدة ، يقضي فيها بين الناس ، ويستمع إلى شكواهم .

فروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : رحم الله عمر بن الخطاب ، لقد رأيته عام الرمادة وإنه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت في يده ، وإنه ليعتقب هو وأسلم ، فلما رآني قال : من أين يا أبا هريرة ؟ قلت قريبا ، فأخذت أعقبه فحملناه حتى انتهينا إلى صرار، فإذا أصرم نحو من عشرين بيتا من محارب ، فقال عمر : ما أقدمكم ؟ قالوا : الجهد وأخرجوا لنا جلد الميتة مشويا كانوا يأكلونه، ورمة العظام مسحوقة كانوا يسفونها ، فرأيت عمر طرح رداءه ثم اتزر ، فما زال يطبخ لهم حتى شبعوا فأرسل أسلم الي المدينة ، فجاء بأبعرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبانة ثم كساهم ، وكان يختلف إليهم والي غيرهم حتى رفع الله عنهم ذلك . [1]

وشاهد يوما رضي الله عنه رجلا وهو يسير في الطريق ، يحمل على ظهره حملا ثقيلا ، فسارع فحمل عنه حمله ، فدعا له الرجل وقال : نفعك بنوك يا أمير المؤمنين، فقال : بل أغناني الله عنهم . [2]

وتتجلى معاني الاهتمام الزائد من قبل عمر بالرعية ، لاسيما في وقت الأزمات ، ففي عام الرمادة كان عمر لا ينام نوما هانئا ، بسبب معاناة الناس ، فعن زيد بن

---

(1) الطبري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 212.

(2) نفس المصدر ، ج4، ص 213.

أسلم عن أبيه قال : لما كان عام الرمادة جاءت العرب من كل ناحية ، فقدموا المدينة ، فكان عمر قد أمر رجالا يقومون بمصالحهم ، فسمعته يقول ليلة " أحصوا من يتعشى عندنا ، فأحصوهم من القابلة فوجدوهم سبعة آلاف رجل ، وأحصوا الرجال المرضى والعيالات فكانوا أربعين ألفا، ثم بعد أيام بلغ الرجال والعيال ستين ألفا ، فما برحوا حتى أرسل الله السماء ، فلما أمطرت رأيت عمر قد وكل بهم من يخرجونهم إلى البادية ، ويعطونهم قوتا وحُملانا إلى باديتهم ، وكان قد وقع فيهم الموت ، فأراه مات ثلثاهم وكانت قدور عمر تقوم إليها العمال من السحر، يعملون الطعام ، وكان أسلم يقول : لو لم يرفع الله المحنة عن الأمة عام الرمادة ، لظننا أن عمر يموت . (1)

فهذه هي صفات القوي الأمين ، الذي يألم لجراح الشعوب ويشعر بمعاناتهم ، فقد كان يسهر لخدمتهم ولا ينام حتى يشبعوا ، وحتى يفرج عنهم ما هم فيه ، فلابد أن يشعر الحاكم بمعاناة شعبه ، ولا يعيش في عزلة عنهم وعن آلامهم ،فماذا فعلت الأنظمة في العالم العربي حيال معدلات البطالة الخطيرة التي انتشرت بين الشباب ، طاقات معطلة غير مستغلة لبناء مجد أمتها ، فبدلا من أن يجدوا حلا لمشاكل الناس ، تفرغوا فقط لأذيتهم وسرقة أموالهم ، حارمين فلذات أكباد أوطانهم من خيراته .

لقد كان عمر بن الخطاب مثالا يحتذى به في الاهتمام برعيته ، فكان لا يعتمد على وزراء ولا معاونين له ، إلا أهل الرأي والمشورة من كبار الصحابة العدول ، الذين لا يخفى على أحد إخلاصهم لله وللرعية ، ورغم أن عمر كان لا يوكل معظم حوائج الناس وقضائها إلى أحد ، حيث كان يقوم هو بنفسه بقضائها ، حتى تطمئن نفسه أنها قضيت على النحو الذي يرضاه الله ورسوله وتستقر إليه نفسه .

---

(1) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج3، ص 273-274.

فروي أنه كان يمر يوما بالسوق فلحقته إمرأة شابة ، فاستوقفته فقالت له يا أمير المؤمنين: هلك زوجي وترك صبية صغارا ، وما ينفحون كراعا ، ولا لهم زرع ولا ضرع ، وخشيت عليهم الضيع ، وأنا ابنة خفاف بن أيمن الغفاري ، وقد شهد أبي الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوقف معها عمر ولم يمضي وقال : مرحبا بنسب قريب ، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطا في الدار ، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما ، وجعل بينهما نفقة وثيابا ثم ناولها خطامه فقال لها : اقتديه فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين أكثرت لها ، فقال عمر : ثكلتك أمك والله إني رأيت أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنا زمانا ، فافتتحاه ثم أصبح نستفيء سهامهما فيه . (1)

فكم ضاع في زماننا الكثير من الناس من الجوع والفقر والمرض ، ألم يشعر حكامنا المرضى بحب الدنيا ، كم وصل الفقر حده في بلادهم ، كم وصل المرض حده في بلادهم، ألم يشعر هؤلاء بخطر أطفال الشوارع الذي وصل إلى ذروته في الآونة الأخيرة ، أطفال في عمر الزهور يفترشون الطرقات ، وينامون في الميادين والشوارع ، دون عائل لهم إلا الله ، فلينتقمن الله لمن تألم يوما ولم يشعر به أحد ، لينتقمن الله لكل جائع تلوى من الجوع ولم يشعر به أحد، ، لينظر هؤلاء المسئولين بعين الإعتبار إلى عمر بن الخطاب ، وكيف كان يصنع مع الفقراء والمحتاجين ، ألا ينظر هؤلاء لهذه المُثل ، ويتعلم منها ويأخذ من التاريخ والماضي ما ينفعه في مستقبله .

لقد كان عمر يرى نفسه دائما أنه خادما لدى الشعب وأنه أجير لديهم ، يقوم على مصالحهم ، ويصلح شأنهم ، يقول أحنف بن قيس قدمت على عمر في وفد من

(1) ابن الجوزي : مناقب عمر ، ص 68 . وصفة الصفوة ، ص 86.

العراق في يوم صائف شديد الحر ، فرأيته معتجر بعباءة يهنأ بعيرا من إبل الصدقة ، فقال : يا أحنف ضع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير ، فإنه من إبل الصدقة ، فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين ، فقال رجل من القوم : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ! فهــلا تأمر عبدا
من عبيد الصدقة فيكفيك ؟ فقال عمر : وأي عبد هو أعبد مني ومن الأحنف ، إنه من ولي أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده في النصيحة وأداء الأمانة . (1)

وروي أنه كان يمشي يوما في طرقات المدينة ، يتفقد أحوال الناس ويحرس بيوتهم ، فوجد رجلا جالسا على قارعة الطريق ، وقد أقام خيمة ، وسمع أنين امرأة بالداخل ، فقال له عمر : من الرجل ؟ فقال : رجل من البادية جئت إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله ، فقال : ما هذا الصوت الذي أسمعه في البيت ؟ فقال : انطلق رحمك الله لحاجتك ، قال على ذاك ما هو ؟ قال : امرأة تمخض ، قال : هل عندها أحد ؟ قال : لا ، قال : فانطلق حتى أتى منزله ، فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ قالت : وما هو ؟ قال : امرأة غريبة تمخض ليس عندها أحد ، قالت : نعم إن شئت، قال : فخذي معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والداهن وشحم وحبوب ، قال : فجاءت به فقال لها : ادخلي إلى المرأة وجاء حتى قعد إلى الرجل فقال له : أوقد لي نارا ففعل ، فأوقد تحت البرمة حتى أنضجها وولدت المرأة ، فقالت امرأته : يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام ، فلما سمع بأمير المؤمنين كأنه هابه فجعل يتنحى عنه ، فقال له : مكانك كما أنت ، فحمل البرمة فوضعتها على الباب ، فقام عمر فأخذها ، فوضعها بين يدي

(1) ابن الجوزي : السابق ، ص 73.

الرجل فقال: كل ويحك فإنك قد سهرت من الليل،ففعل ثم قال لامرأته:أخرجي وقال الرجل:إذا كان غدا فأتنا نأمر لك بما يصلحك ففعل الرجل فأجازه وأعطاه.[1]

حقا فإن عمر أتعب من جاء بعده فإن القلب ليخشع والعين لتدمع من رحمته برعيته ، يحمل رضي الله عنه الإناء فوق رأسه ويسير به في طرقات المدينة ، غير عابئ بالناس أو نظرتهم إليه وهو من هو أمير المؤمنين ، ويوقظ امرأته في جوف الليل لتعين هذه المرأة المكلومة ، حقا إنهم عظماء الأمة الذين لا يزال عطر سيرتهم العطرة يفوح من عبــق التاريخ .

*** عمر والنساء**

النساء شقائق الرجال وهن نصف المجتمع ، ولقد رفع الإسلام من شأنهن كثيرا ، فقد كانت النساء في الجاهلية تباع وتشترى كالسلع ، وتورث وليس لها أدنى حق في المعيشة ، فتقتل وهي صغيرة خشية الفقر والعار ، هكذا كان حال النساء في الجاهلية ، أما وقد جاء الإسلام فقد رفع من قدرهن وأعطاهن كافة الحقوق وكرمها أحسن تكريم .

ومع ما عرف به عمر بن الخطاب شدة في الحق ومهابته في قلوب الخلق ، إلا أنه كان يكن الإحترام الزائد للنساء ، ويعلم قدرهن ويحرص على عفتهن ، وله موقفه الشهير الذي تراجع فيه عن رأيه نزولا على رأي امرأة ردت عليه كلامه على المنبر عندما حاول أن يجعل حدا للمغالاة في المهور فردته المرأة وذكرته بتقدير الله للمرأة ، وأنه ليس من حق أحد أن يبخس حقها الذي أعطاه الله إياها .

---

(1) ابن الجوزي : المصدر السابق، ص 84-85.

obeikandl.com

لقد كان عمر يعرف للمرأة قدرها ، وأنها مخلوق يحس ويشعر ويفكر ويبدع ، وأنه كما كان يستشير الرجال ، فقد كان أيضا يستشير النساء ، فقد كان يقدم الشفاء بنت عبد الله العدوية في الرأي ، وكان يعتبر نفسه أبو العيال ، فيمشي إلى المغيبات اللواتي غاب أزواجهن، فيقف على أبوابهن قائلا لهم : ألكن حاجة ؟ أيتكن تريد أن تشتري شيئا ؟ فإني

أكره أن تخدعن في البيع والشراء ، فيرسلن معه بجواريهن فيدخل السوق ووراءه من جواري النساء وغلمانهن ما لا يحصى ، فيشتري لهن حوائجهن ، ومن ليس عندها شيء اشترى لها من عنده . [1]

وكان عمر يقدر النساء التي هاجرت بدينها إلى الحبشة قبل أن يسلم مثل أسماء أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم التي قال لها عمر بن الخطاب يوما : نعم القوم لولا أنا سبقناكم إلى الهجرة . فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " بل لكم هجرتان إلى أرض الحبشة وإلى المدينة " . [2]

وروى الزبير عن محمد بن سلام قال : أرسل عمر بن الخطاب إلى الشفاء بنت عبد الله العدوية . أن أغدي علي . قالت : فغدوت عليه فوجدت عاتكة بنت أسيد ببابه فدخلنا فتحدثنا ساعة فدعا بنمط فأعطاها إياه ودعا بنمط دونه فأعطانيه قالت : فقلت : تربت يداك يا عمر ! أنا قبلها إسلاما وأنا ابنة عمك وأرسلت إلي وجاءتك من قبل نفسها ! فقال : ما كنت رفعت ذلك إلا لك فلما اجتمعتما ذكرت أنها أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك . [3]

---

(1) الصلابي : فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب ، ص 167.

(2) أسد الغابة : ج1 ص 1311

(3) نفس المصدر : ج1 ص1380

وقد كان له رضي الله تعالى عنه رأي خاص في النساء ، فعندما سئل عن رأيه فيهن ، قال : النساء ثلاثة : هينة عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها ، وأخرى وعاء للولد ، وثالثة غل قميل يلقيه الله في عنق من يشاء من عباده[1] .

واستوقفته يوما السيدة خولة بنت ثعلبة وكانت من ربات البلاغة والفصاحة والجمال ، وهي التي نزلت فيها وفي زوجها آية الظهار ، وهي المجادلة التي جادلت رسول الله في زوجها، فأورد السيوطي في الدر المنثور أن عمر بن الخطاب ، مر بهذه المرأة أيام خلافته ، وكان خارجا من المنزل فاستوقفته طويلا ووعظته قائلا له : يا عمر كنت تدعى عمير ثم قيل عمر ثم قيل لك يا أمير المؤمنين ، فاتق الله يا عمر ، فإن من أيقن الموت خاف الفوت ، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب ، وعمر رضي الله عنه واقف يسمع كلامها بخشوع، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، أتقف لهذه العجوز هذا الموقف كله ،فقال عمر والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة " ثم سألهم : أتدرون من هذه العجوز ؟ قالوا : لا ، قال رضي الله عنه: هي التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات ، أفيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر .

هكذا كان عمر يقدر النساء ، ويقف خاشعا أمامهن لنصحهن ، دون أن يأخذه الكبر في ذلك ، رغم أنه أمير المؤمنين بل أنه رضي الله عنه كان يقدم لهن النصائح في إدارة شئون منازلهن ، فعن هشام بن خالد قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول للنساء : لا تذرن إحداكن

---

(1) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج7، ص 121.

الدقيق حتى يسخن الماء ، ثم تذره قليلا قليلا ، وتسوطه بمسوطها فإنه أريع له وأحرى ألا يتقرد ،أي يركب بعضه بعضا . [1]

وأخرج ابن سعد عن الشَّعبي قال: جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب فقالت: أشكو إليك خير أهل الدنيا إلا رجلا سبقه بعمل أو عمل مثل عمله. يقوم الليل حتى يصبح، ويصوم النهار حتى يمسي، ثم تجلاّها الحياء، فقالت: أَقِلْني يا أمير المؤمنين، فقال: جزاك الله خيرا؛ فقد أحسنت الثناء. قد أقتلك، فلما ولّت قال كعب بن سخور: يا أمير المؤمنين لقد أبلغت إليك في الشكوى، فقال: ما اشتكت؟ قال: زوجَها، قال: عليَّ المرأة (فأرسل إلى زوجها فجاء)، فقال لكعب: اقضِ بينهما، قال: أقضي وأنت شاهد قال: إنك قد فطنت إلى ما لم أفطن له، قال: فإن الله تعال يقول: {فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع}[2] صم ثلاثة أيام وأفطر عندها يوما، وقم ثلاث ليالٍ وبتْ عندها ليلة. فقال عمر: لهَذا أعجب إليَّ من الأول؛ فبعثه قاضيا لأهل البصرة. وأخرجه اليَشْكري عن الشعبي بمعناه أطول منه وفيه: فقال لها عمر: أصدقيني ولا بأس بالحق، فقالت: يا أمير المؤمنين إني امرأة لأشتهي ما تشتهي النساء. [3]

وعن قَتادة قال: جاءت امرأة إلى عمر فقالت: زوجي يقوم الليل ويصوم النهار، قال: أفتأمريني أن أمنعه قيام الليل وصيام النهار؟ فانطلقت ثم عادت بعد ذلك، فقالت له مثل ذلك فرد عليها مثل قوله الأول، فقال له كعب ابن سُور: يا أمير المؤمنين إنَّ لها حقا، قال: وما حقُّها؟ قال:

أحل الله له أربعا، فاجعل واحدة من الأربع. لها في كل أربع ليالٍ ليلة، وفي كل أربعة

---

(1) الطبري : السابق ، ج4 ، ص212.

(2)النساء: 3.

(3) حياة الصحابة للكاندهولي ،ج4 ص83 .

أيام يوم؛ فدعا عمر زوجها وأمره أن يبيت معها من كل أربع ليالٍ ليلة، ويفطر من كل أربعة أيام يوما [1].

كما كان عمر رضي الله عنه ينصح النساء بحسن معاشرة الأزواج ، فليس كل البيوت تبنى على الحب ، فهناك أشياء كثيرة يمكن العيش من أجلها ، فأخرج ابن جرير عن أبي غَرْزة رضي الله عنه أنه أخذ بيد ابن الأرقم رضي الله عنه فأدخله على امرأته فقال: أتبغضيني؟ قالت: نعم، قال له ابن الأرقم: ما حملك على ما فعلت؟ قال: كثرت عليَّ مقالة الناس، فأتى ابن الأرقم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخبره، فأرسل إلى أبي غَرْزة فقال له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: كثرت عليَّ مقالة الناس، فأرسل إلى امرأته فجاءته ومعها عمة منكرة، فقالت: إن سألك فقولي: استحلفني فكرهت أن أكذب. فقال لها عمر: ما حملك على ما قلت؟ قالت: إنه استحلفني فكرهتُ أن أكذب، فقال عمر: بلى فلتكذب إحداكم وليتجمُل فليس كل البيوت تُبنى على الحب، ولكن معاشرة على الأحساب والإسلام،.[2]

وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن امرأة أتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين إن دِرعي مخرَّق، قال: ألم أكسُك؟ قالت: بلى ولكنه تخرَّق، فدعا لها بدرع نجيب وخيط، وقال لها: البسي هذا ـــ يعني الخَلَق ـــ إذا خبزت وإذ جعلت البُرمة، والبسي هذا إذا فرغت؛ فإنه لا جديد لمن لا يلبس الخَلَق. كذا في الكنز .[3]

وأخرج عبد الرزاق، والمحاملي في أماليه عن سعيد بن المسيِّب أن عمر بن الخطاب

(1) أخرجه ابن أبي شيبة.

(2) حياة الصحابة للكاندهولي ،ج4 ص84.

(3) نفس المصدر : ج4 ص137.

رضي الله عنه بعث معاذا رضي الله عنه ساعيا على بني كِلاب،فقسم فيهم حتى لم يَدَع شيئا، حتى جاء بحِلْسِه الذي خرج به يحمله على رقبته، فقالت له امرأته: أين ما جئت به مما يأتي به العمال من عُراضة أهليهم؟فقال: كان معي ضاغط، فقالت: قد كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه، فبعث عمر رضي الله عنه معك ضاغطا فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر؛ فبلغ ذلك عمر فدعا معاذا فقال: أنا بعثت معك ضاغطاً؟ فقال: لم أجد شيئا اعتذر به إليها إلاَّ ذلك، فضحك عمر وأعطاه شيئا فقال:أرضها به،قال ابن جرير:قول معاذ:الضاغط ـ يريد به ربه عز وجل [1].

*** عمر والقيم الاجتماعية والاخلاقية**

لقد كان عمر حريصا كل الحرص على أن تسود القيم الإسلامية الجميلة المجتمع الإسلامي، فكان يمشي في الشوارع يراقب الناس ويلحظ أفعالهم ، فإذا ما رأى منهم منكرا ، غيره بنفسه حتى يحافظ على الذوق والآداب العامة ، ولكي لا ينساق المجتمع خلف العربدة وعدم الإلتزام .

فخطب الناس يوما فقال : أيها الناس إن بعض الطمع فقر ، وإن بعض اليأس غنى ، وإنكم تجمعون مالا تأكلون ، وتأملون ما لا تدركون ، وأنتم مؤجلون في دار غرور ، كنتم على عهد رسول الله تؤخذون بالوحي ، فمن أمر شيئا أخذ بسريرته ، ومن أعلن شيئا أخذ بعلانيته ، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر ، واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق ، فأنفقوا خيرا لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون ، أيها الناس أطيبوا مثواكم ، وأصلحوا أموركم واتقوا الله ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القباطي فإنه إن لم يشف فإنه يصف . [2]

---

(1) حياة الصحابة للكاندهولي: ج4، ص84.

(2) الطبري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 216.

هكذا ينصح عمرالرعية بفضائل الأعمال وحسن الخلق حتى يستقيم للناس الأمر، ويضع مبادئ أخلاقية يسير عليها الناس،فمن خالفها فلا يلومن إلا نفسه ، ويتوجه إليهم

أيضابالنصائح التي ترفع من مستواهم الإقتصادي فيحثهم على العمل،فقال لا تؤخرعمل اليوم لغد ، واتقوا الله عز وجل فإنما التقوى بالتوقي ومن يتق الله يقه.[1]

وكان دائما يحث الناس على التودد والتراحم ، فقال يوما : ثلاث يثبتن لك الود في صدر أخيك ، أن تبدأه بالسلام ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه وقال : ليس شيء أبلغ في خير ولا شر من صاحب .[2]

وعن رأيه في الغوغاء الذين يثيرون الفتن في المجتمع ، ويحبون أن تشيع الفاحشة بين الناس ، فقد كان له رأي صائب فيهم ، حين نظر إلى قوم من هؤلاء يتبعون رجلا أخذ في ريبة ، فقال فيهم : لا مرحبا بهذه الوجوه التي لا ترى إلا في الشر .[3]

وكان يأتي إلى مجزرة الزبير بن العوام ، وكانت هي الوحيدة في المدينة ، فإذا رأى رجلا اشترى لحما يومين متتابعين ضربه ، وقال : ألا طويت بطنك لجارك وابن عمك .[4] ، كما نهى عمر الناس عن التسول ، لكي لا يسود في المجتمع الإتكالية والرغبة في التقاعس عن العمل ، فرأى يوما سائلا يسأل وعلى ظهره جراب مملوء بالطعام ، فأخذ منه ونثره لأبل الصدقة ثم قال له ، الآن سل ما بدا لك .[5]

---

(1) نفس المصدر : ج4 ، ص 213.

(2) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج2 ،ص230.

(3) نفس المصدر ، ج2، ص152.

(4) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ص 99.

(5) ابن الجوزي : نفس المصدر ، ص101.

ورأى يوما رجلا يمشي مشية مشينه غير سوية ، فقال له : دع هذه المشية فقال : ما أطيق فجلده ، فقيل لعمر:لما جلدته؟فقال:إذا لم أجلد في مثل هذا ففيم أجلد ، فجاءه الرجل بعد ذلك ، فقال:جزاك الله خيرا ، إن كان إلا شيطانا أذهبه الله بك [1].

ومرَّ به فتى قد أسبل إزاره وهو يجره، فدعاه فقال له: أحائض أنت؟ قال: قال: يا أمير المؤمنين وهل يحيض الرجل؟ قال: فما بالك قد أسبلت إزارك على قدميك؟ ثم دعا بشفرة ثم جمع طرف إزاره فقطع ما أسفل الكعبين، وقال خَرَشة: كأنَّي أنظر إلى الخيوط على عقبيه. [2]

ومن وصاياه أيضا للحفاظ على نسيج المجتمع ، وشيوع المحبة والود بين الناس ، أنه كتب يوما إلى عامله أبو موسى الأشعري قائلا : مُر ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا [3].

ونهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن إنشاد شيء من مناقضة الأنصار ومشركي قريش وقال : في ذلك شتم الحي والميت وتجديد الضغائن . وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام (4).

وقال محمد بن فضال المجاشعي النحوي : تقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشعراء أن لا يشبب أحد بامرأة إلا جلده [5].

---

(1) الصلابي : المصدر السابق ، ص 178.

(2) أسد الغابة : ج4 ص103.

(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ن ج2 ، ص 230.

(4) اسد الغابة: ج1، ص 255.

(5) اسد الغابة :ج1 ص 286.

واهتم الخليفة عمر بن الخطاب بالصحة العامة للمواطنين ، فكان يحذرهم من مغبة السمنة ومخاطرها ، ويدعوهم إلى تخفيف أوزانهم لما فيه من القوة على العمل ، والقدرة على أداء الواجبات ، فكان يقول : أيها الناس : إياكم والبطنة عن الطعام ، فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسم ، مورثة للسقم ، وإن الله عز وجل يبغض الحبر السمين ، ولكن عليكم بالقصد في قوتكم ، فإنه أدنى من الصلاح وأبعد من السرف ، وأقوى على عبادة الله عز وجل ، ولن يهلك العبد ، حتى يؤثر شهوته على دينه . (1)

ورأى يوما إمرأة تطوف بالبيت وبها برص أو جذام ، وهو مرض معدي ، فقال لها : يا أمة الله لو قعدت في بيتك لا تؤذين الناس فقعدت ، فمر بها رجل بعد موت عمر ، فقال لها: إن الذي نهاك قد مات فاخرجي ، فقالت : والله ما كنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتا . (2)

وروي عن أبي عثمان النهدي قال: أتانا كتاب عمر بن الخطاب ونحن بأذربيجان مع عتبة بن فَرْقَد أما بعد: فاتّزروا، وارتدوا، وانتعلوا، وارموا بالخفاف، وألقوا السراويلات، وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل، وإياكم والتنعُّم وزِيّ العجم، وعليكم بالشمس فإنها حمَّام العرب، وتمدَّدوا، واخشوشنوا، واخلولقوا، واقطعوا الركب، وارموا الأغراض وانزوا، وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير إلا هكذا وأشار بأصبعه الوسطى (3).

---

(1) الصلابي : السابق ، ص 179.

(2) ابن الجوزي : السابق ، ص200.

(3)أسد الغابة : ج4، ص103.

obeikandl.com